14me Année No. 679

Lundi—8—7—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ شعبان سنة ١٣٦٥ — ٨ يوليو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

بين الالهام والحكمة !

للاستاذ عباس محمود العقاد

نقلنا عن الجماعة الإسلامية فى لاهور أنهم يعدون حضرة ميرزا غلام أحمد القادياني مجدد القرن الرابع عشر ، ويثبتون أنه ما ادعى النبوة قط كما قال بكلامه : « إننى لا أدعى النبوة . وكل ما أدعيه أننى محدث ، وأن معنى المحدث هو الذى يسمع كلام الله . كلا . ما أنا مدع للنبوة ، وما مدعى النبوة عندى إلا خارج على الدين ، وإنما يكذب على الذين يحسبوننى من أولئك المدعين » .

وقد شاءت الطبيعة أن تضبط « المحدث » بكسر الدال ، ولا أدرى كيف وقع ذلك ؛ لأن الكلمة التى تليها تفسرها وتمنع أن تكون على صيغة اسم الفاعل ، إذ كان الذى يسمع كلام الله هو المحدث بصيغة اسم المفعول . وإنما المحدث بكسر الدال هو الذى يتكلم وليس هو الذى يسمع الكلام .

ولهذا أصاب الأستاذ « السهمى » حين ردها إلى التطبيع ، وأشار إلى تفسير المحدث فقال : « جاء فى الحديث تفسيره أنهم هم الملهمون ، والملهم هو الذى يلقى فى نفسه الشىء فيخبر به حدسا وفراسة ، وهو نوع يختص به الله من عباده الذين اصطفى مثل عمر ، كأنهم حُدثوا بشىء فقالوه ... » .

ولكن المسألة كبرت بعد ذلك ، لأن المراد أن يكون هناك خطأ ينسب إلى العقاد على ما يظهر . فكتب الأستاذ الطنطاوى يقول إن السهمى لم يصحح الخطأ فى تفسير العقاد ... فقد ذكر أن المحدث هو الذى يسمع كلام الله . مع أن الذى قالوه فى المحدث أنه الملهم ... » .

ثم كبرت مرة أخرى فقال كاتب بتوقيع منصف يخاطب الأستاذ الطنطاوى : « لو أعاد الأستاذ الطنطاوى قراءة ما كتبه السهمى لوجده قد صحح الكلمة وتفسيرها بما نقله عن كتاب النهاية لابن الأثير ... » .

فعجبت لهذا التصحيح فى غير موضع للتصحيح .

وعجبت لتسمية هذا التصحيح تصحيحا لتفسيرى أنا ، مع أننى أروى عن القادياني فيما أقول .

فتصحيح التفسير كلمتان اثنتان ليس فيهما حرف واحد صحيح ؛ لأنه لا تفسير لى أولا فى تلك الكلمة المنقولة ، ولأنه لا تصحيح هناك ولا موجب للتصحيح على وجه من الوجوه .

ولماذا يخطىء الذى يقول إن المحدث بفتح الدال هو الذى يسمع كلام الله ؟

إن المحدث لغة هو الذى تتحدث إليه ، وليس هذا هو المعنى المقصود بالكلمة فى الحديث المنسوب إلى النبى عليه السلام ، إذ لو كان هذا هو المعنى المقصود بها لكان كل إنسان من خلق الله محدثا بغير استثناء . ولم يكن ذلك شأن عمر بن الخطاب وحده أو شأن أمثاله من الملهمين . فما من أحد إلا وقد تحدث إليه أحد فهو محدث بهذا المعنى « اللغوى » الذى لا تمييز فيه .

فالمحدث المقصود إذن هو الذى يستمع حديثا من غير الناس أو يستمع حديثا من عالم الغيب . وكل حديث من عالم الغيب فهو إما حديث من وحى الله وملائكته أو حديث من وحى إبليس وشياطينه . ولا تحتمل الكلمة معنى غير هذين المعنيين ، بل لا تحتمل إلا معنى واحدا حين يكون الموصوف رجلا من القديسين وطلاب القداسة ، وهو الاستماع إلى وحى الله ، أو تلقى الإلهام من الله ، ولا فرق بين القول بهذا أو القول بذاك .

فأين هو التصحيح إذن فى التفسير كائنا من كان صاحب الكلام المفسر ؟

ولماذا قال النبى عليه السلام « محدث » ولم يقل « ملهم » إذا كان من الخطأ أن نقول إن المحدث هو الذى يتلقى الحديث من عالم الغيب !

على أنى لم أنس الإلهام فى المقال نفسه لأنى ختمته بتلخيص كلام القادياني حيث يقول : « إن الإلهام درجات تبدأ بالحدس الصادق وتنتهى بعين اليقين وهو أعلى مراتب الملهمين ، وإنه من الخطأ أن نخلط بين الإلهام الفنى والإلهام الدينى ، لأن الإلهام الفنى قد يكون فى الشر كما يكون فى الخير ، وقد يقال إن اللص وهو يحاول سرقة المكان سنحت له خاطرة ملهمة لتيسير السرقة ثم لتيسير الهرب من الحراس ، وليس هذا من الإلهام الربانى فى شىء ، وإنما يكون إلهام الله فى سبيل الحقائق العليا والكشف عن الأسرار الروحية ، والنفاذ إلى لباب الخلق وبواطن الحكمة الإلهية ، وهذه منزلة يرتقى إليها طلاب الوصول إلى الله ، ومنهم ميرزا أحمد القادياني فى رأيه وآراء مريديه ؟ » .

فإذا كانت مادة « حدث » لا تقبل تفسيرا فى المصطلح المقصود غير سماع الحديث من عالم الغيب ، وكان الإلهام من المعانى التى ذكرناها فى هذا السياق ، فأين موضع التصحيح ، وأين موضع التنبيه مرة بعد مرة إلى التصحيح ؟ وهل حصل أولم يحصل ولا يزال فى حاجة إلى تحصيل ؟

إن « المحدث » بفتح الدال لا تحتمل معنى واحدا حين يوصف بها الرجل الصالح غير سماع الحديث من وحى الله ، وإنما الإلهام هو تفسير لهذا التحديث وليس هو بالتصحيح ، فليس الإلهام إلا أن تتلقى إشارة من الله أو من عالم الغيب ، ومتى كانت المادة مادة « الحديث » فالإشارة المقصودة هى الحديث أو ما فيه معنى الحديث ، وإلا لكانت التخطئة لاستخدام الكلمة فى هذا الموضع وليست للتفسير والتوضيح .

* * *

ومن طرائف هذه التصحيحات « تصحيحة » أخرى وقفنا عليها فى رسالة عن « عبد الله فكرى » للأستاذ محمد عبد الغنى حسن وصلت إلى منذ أسابيع .

فنحن نعتقد أن عبد الله فكرى باشا رحمه الله كان من أنبغ كتاب الدواوين فى عصره ، وقد كتبنا عن هذه المدرسة فى مقالاتنا عن شعراء القرن التاسع عشر ، فقلنا إن أشياع تلك المدرسة كانوا فى تلك الفترة كثيرين ثم قلنا : « إن الذين بلغوا منهم جهارة الشأن قليلون وتريد جهارة الشأن فى المنصب كما تريدها فى الأدب ، فإن قليلا من الديوانيين من ضارع عبد الله باشا فكرى فى صحة اللغة ، وبراعة التركيب ، وسلامة الفهم والتفكير » .

أما الشعر فرأينا فى الرجل أنه لم يكن من كبار الشعراء و « أن قصائده فى الحكمة هى أصدق بوصايا المتأخرين ونصائحهم منها بالحكم المطبوعة التى كانت تتخلل قصائد الشعراء عفوا فى أدب الجاهلية والخضرمة وفحول القرن الثالث والقرن الرابع . فهى بكلام المعلمين أشبه منها بكلام الشعراء ، وبوصايا الآباء المحنكين أشبه منها بالخبرة المطبوعة التى تعبر عنها قرائح أهل الفنون ، ومن ذلك قصيدته الرائية التى يقول فيها :

إذا نام غر فى دجى الليل فاسهر وقم للمعالى والمعالى وشمر

ثم قلنا : « فهذه وأشباهها نصائح معلم وليست وحى شاعر ، ولا نعرف بين كبار الشعراء فى العالم كله واحدا صرف إليها شعره وجعلها من أغراض فنه » .

وهذا كلام فى رأى الأستاذ عبد الغنى يحتاج إلى تصحيح لأنه لم يفهمه ولم يحاول فهمه ، بل حاول تصحيحه ليكون من المصححين ولا يكون من الفاهمين .

فهو « أولا » يسأل مستهولا : « ما دخل كبار الشعراء فى العالم كله فى ميدان هو بشعراء العربية أشبه ؟ » ثم يقول « لقد نظم كثير من شعراء العربية مثل هذه القصيدة الفكرية فى

عصور مختلفة فما حط ذلك من شاعريتهم . ولقد أوردت أبياتا من قصيدة ابن سعيد المغربي تزكية لقضية أرى من الحق أن أدافع عنها . فإذا احتج محتج بأن المغربي من شعراء العصور المتأخرة نسبيا ، فإن الجواب عندنا حاضر عتيد ، وهو أن بشار ابن برد من شعراء القرن الثاني ترك لنا أبياتا في المواعظ والحكم فيها كثير من وحي الشاعر »

وهو « ثانيا » يقول ليصحح لا ليفهم « إن الحكمة سواء لبست ثوب النصيحة والموعظة أو ثوب الحكمة الطبوعة ليس من الضروري أن تكون وحيا شعريا . ولقد فرق النقاد قديما بين الشاعر والحكيم حتى قالوا إن المتنبي وأبا تمام حكيمان والشاعر البحتري . فالمقابلة بين نصائح المعلم ووحي الشاعر هي مقابلة في غير موضعها ولا بابها . وقد يكون المعترض على حق لو أنه قابل بين نصائح المعلم وحكمة الحكيم »

هكذا قلنا مصحِّحين بفتح الحاء .

وهكذا قال السيد عبد الغني مصححين بكسر الحاء .

ويؤخذ من هذا وذاك بالبداهة أن التصحيح أيسر من الفهم الصحيح بكثير ، وأن السيد عبد الغني يفضل « أن يصحح » على « أن يفهم » ولا جناح عليه في تفضيلاته وتصحيحاته ، لأن الإنسان معذور في هذه الدنيا إذا هو عدل عن جانب العناء إلى جانب الرخاء .

ومن ثم وجب عليه أن يصحح بكسر الحاء ووجب علينا أن نصحح بفتح الحاء لأنه لا شأن لكبار الشعراء في الدنيا بتحقيق الملكة الشعرية وتمحيص الآداب العربية ؛ فإن كبار الشعراء شيء ، والآداب العربية شيء آخر لا يتصل به ، ولا يستدل به عليه .

ووجب عليه أن يصحح بكسر الحاء ، ووجب علينا أن نصحح بفتح الحاء إذا أنكرنا على أحد أن يكون شاعرا مطبوعا في أغراض الحكمة ، بعد أن قال بشار بن برد في تلك الأغراض ما قال :

ووجب عليه أن يصحح بكسر الحاء ، ووجب علينا أن نصحح بفتح الحاء إذا قلنا إن الملكة الشعرية غير المنظومات الحكمية ولم نقل إن التعليم غير حكمة الحكيم .

وقياسا على ذلك قد أصبحنا مصححين ناجحين ، فنقول وعلى الله القبول : إن أشعر الشعراء طرا وأحكم الحكماء شعرا هو السيد أبو الفتح علي بن محمد البستي حيث قال :

زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير فقدان
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وحيث قال :

الدهر خداعة خلوب ... وصفوه بالقذى مشوب
وأكثر الناس فاعتزلهم ... فوالب ما لهما قلوب
فلا تغرنك الليالي ... وبرقها الخلب الكذوب
ففي قفا أمنها كروب ... وفي حشا سلمها حروب

وإنه كان ينثر في الحكمة كما ينظم فلا تعوزه القافية ولا التحسين وإن أعوزته التفاعيل والموازين . ومن ذلك أنه قال : « حد العفاف الرضى بالكفاف » وأنه قال : « من سعادة جدك وقوفك عند حدك » وأنه قال : « المنية تضحك من الأمنية » وأنه قال : « من أصلح فاسده أرغم حاسده » وأنه قال : « إذا بقي ما فاتك فلا تأس على ما فاتك » . فلا جرم كان أشعر الشعراء وأحكم الحكماء ، وحق له أن يقول في شمم وإباء وعزة وخيلاء :

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله ... وليس له ذكر إذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي ... فإن فاتتا نسل فإنا بها نسلو

نعم وأصبحنا مصححين ناجحين غير فاهمين ولا متفهمين ، لأننا رجعنا إلى الفوائد الفكرية ، فوجدنا فيها هذه النصائح الحكمية : « وينبغي للمولد أن لا يدخل المحل الذي تكون أمه واضعة فيه المأكولات مثل العسل والسمن والفاكهة وغير ذلك إلا بإذنها ، ولا يمد يده لشيء يرفعه من مكانه إلا بعلمها ، فإنه يتعب والدته المشفقة اللينة القلب عندما تطلب ذلك الشيء ولا تجده . فليحذر غاية الحذر من كل ما يؤدي إلى تعبها وتغير قلبها »

فلما رجعنا إلى الفوائد الفكرية ووجدنا فيها هذه النصائح الحكمية ، قلنا هي ملكة شعرية لا تعوزها غير الأوزان العروضية لأنها تنظم في اللغة العربية ، ولا تنظم بالافرنجية في اللغات الأجنبية ، وكله عند العرب صابون ، كما يقول المصححون الذين يصححون ولا يفهمون ، بل كل قول مليح ، إذا عجز الإنسان عن الفهم وقدر على التصحيح .

عباس محمود العقاد